أهمية الدراسة السكانية والاجتماعية في التخطيط السياحي

دراسة حالة سكان ولاية باتنة – شرق الجزائر

علوات محمد
أستاذ محاضر (أ)
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة،

رزاز محمد عبد الصمد
أستاذ محاضر (ب)
جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا- الجزائر

خرور الوردي
أستاذ محاضر (أ)
جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا- الجزائر

Résumé :

Le tourisme étant directement lié aux résidants locaux et aux touristes, pour cela la planification touristique vise à atteindre divers objectifs, notamment sociaux, qui vise à fournir des services de loisirs à la population locale et à satisfaire les souhaits à des expatriés.

Quels éléments de la population peuvent être étudiés dans la planification touristique ? Pourquoi l'étudiant-nous ? Quel est l'avantage de l'étudier ? Dans cette étude, nous décrirons et analyserons les éléments qui sont abordés par la géographie de la population, particulièrement en ce qui concerne la planification et la conception des sites et des zones touristiques, nous étudions les phénomènes avec une perspective sociale. Le but de cette étude est de connaître les données démographiques essentielles pour déterminer l'offre et la demande des touristes et d'analyser un ensemble d'objectifs économiques et sociaux d'une grande importance pour les planificateurs dans divers domaines, servant ainsi le développement touristique multiforme selon les variables démographiques actuelles et futures.

Nous avons choisi la wilaya de Batna dans l'Est de l'Algérie pour la spécificité de sa communauté, dont l'environnement culturel est varié dans sa longue, ses coutumes et traditions, sa répartition démographiques entre villes et zones rurales et un taux de croissance démographique de 1,4% selon le dernier recensement de la population en 2008. A la lumière de tout cela, l'utilisation des données démographique doit être cohérente avec le plan souhaité, ce qui soulève la question d'importance scientifique et pratique.

Mots clés : étude de la population, la planification touristique, les facteurs humains, la population, les zones touristiques, les caractéristiques sociales et culturelles, Batna.

الكلمات المفتاحية: الدراسة السكانية، التخطيط السياحي، العوامل البشرية، السكان، المناطق السياحية، الخصائص الاجتماعية والثقافية، باتنة.

مقدمة:

إن التخطيط للتنمية السياحية لا يقل أهمية عن التخطيط لباقي الأنشطة الاقتصادية في الإقليم ، وذلك لما للسياحة وتنميتها أهمية كبرى في تحقيق التنمية المستدامة على كافة المستويات الوطنية الإقليمية والمحلية (محمد خميس الزوكة، 1991)، وقد ازداد الاهتمام في الآونة الأخيرة بصناعة السياحة نظرا لأهميتها الاقتصادية ولكونها تحقق أرباحاً كبيرة تدعم الاقتصاد الوطني لبعض الدول على اعتبار أنها مصدر من مصادر الدخل الوطني (محيا زيتون، 2002)

فقد ازدادت المساعي التي تهدف إلى رفع مستوى السياحة علمياً وفنياً وعمليا، فاستعانت ببعض العلوم الانسانية، كالجغرافيا وعلم الاجتماع ، والاقتصاد، وغيرها من العلوم ذات الصلة بالنشاط السياحي، و كل ذلك لابد ان يقترن بالتخطيط السياحي(ماهر عبد الخالق السيسي،2006).

تكمن أهمية الدراسة السكانية في التخطيط لقطاع السياحة في جمع ونشر المعلومات الديموغرافية والاجتماعية للسكان بهدف توفير متطلبات الدولة واحتياجات المخططين والباحثين من البيانات الأساسية التي تتطلبها خطط التنمية السياحية ، كما تهدف إلى توفير إطار حديث لكافة الأبحاث الإحصائية المتخصصة التي تجرى بأسلوب العينة من أجل معرفة الخصائص الديموغرافية والاجتماعية للسياح (شريفة بنت هيازع عبدالله البارقي، 2011)

وتهتم جغرافية السكان بالعلاقات المتعددة القائمة بين الانسان وبيئته، والسكان هم المحور الرئيسي الذي تدور حوله ومن خلاله كثير من عمليات التنمية، بالإضافة إلى اهتمامها بأساليب التحليل الديموغرافي لأنها تكون الأدوات الرئيسية التي تساهم في استكمال البناء المنهجي لجغرافية السكان (فتحي محمد أبو عيانة، 1993) والبحث الذي نحن بصدده هو من هذا النوع من الدراسات، حيث يهدف

إلى معرفة الحقائق السكانية التي تعد أساسية في تحديد الطلب والعرض السياحي، وأيضا تحديد مجموعة من الأهداف الاقتصادية والاجتماعية ذات الأهمية الكبرى للمخططين في شتى المجالات مما يخدم التنمية السياحية المتعددة الجوانب وفق متغير السكان الحالي والمستقبلي، بالإضافة إلى دراسة علاقة السكان بالنشاط السياحي الذي يعتبر دعامة الاقتصاد المحلي و الوطني، وبالتالي معرفة العلاقات الارتباطية بين متغيرات السكان وتنمية السياحة في إقليم الدراسة.

لأنه من الحقائق الهامة في السياحة أنها ترتبط بالسكان المحليين و الوافدين معا، وأن التخطيط السياحي يعمل على تحقيق مجموعة من الأهداف ومن أهمها الاجتماعية كتوفير تسهيلات ترفيه واستجمام للسكان المحليين و إشباع رغبات الوافدين. فماذا ولماذا ندرس السكان في التخطيط السياحي؟ هذا السؤال يوحي بأن دراسة السكان ذات أهمية قصوى في هذا النوع من التخطيط. وبالتالي نقوم بوصف وتحليل العناصر التي يتناولها علم الديموغرافيا ولكن فيما يهم تخطيط وتهيئة المواقع والمناطق السياحية، أي أننا ندرس الظواهر بمنظور اجتماعي وبالتالي نربط بين الدراسة السكانية والتخطيط السياحي.

وقد اخترنا إقليم ولاية باتنة الواقع في شرق الوطن بمساحة قدرها 12038,76 كم^2، أي بنسبة 0,5 % من مساحة القطر التي تبلغ 2381741 كلم2، ليكون نموذجا لمثل هذه الدراسات نظرا لخصوصية مجتمعه الذي يتنوع بين الأمازيغ بنسبة تزيد عن 95

%والعرب بنسبة تقل عن 5 %(بشير مسعودان، 2009) وفي توزيع سكانه بين المدن والأرياف بنسب 63 % حضريين مقابل 37% ريفيين على التوالي وبمعدل نمو سكاني يقدر بـ 1.4 % (RGPH 2008). وعلى هذا كله فإن توظيف المعطيات السكانية يجب أن يتوافق مع الخطة المرجوة، مما يزيد موضوع البحث أهمية علمية وتطبيقية.

مشكلة الدراسة وفرضياتها:

تشكل دراسة السكان موضوعا محيرا بالنسبة للجغرافي والديموغرافي والاقتصادي، وتعتبر مؤشرا هاما للتنمية، وذلك بقياس كافة العناصر الديموغرافية، لكن تحديد عناصر الدراسة تدخل ضمن تصور الباحث حسب الخطة المرسومة ، ولكي يكون البحث ذا جدوى علمية فإن دراسة سكان إقليم ولاية باتنة من حيث العناصر الديموغرافية كمعدل النمو والتركيب العمري والنوعي، وكذا التركيب الاقتصادي و الخصائص الاجتماعية والمادية. كل هذا يفرض علينا طرح السؤال الرئيسي التالي:

– ماهي عناصر السكان التي يمكن دراستها في التخطيط السياحي ولماذا ندرسها؟

وللإجابة على هذا السؤال هناك فرضيات لابد منها لتفسير التحليل المتبع والنتائج المتحصل عليها و هي كما يلي:

- نمو السكان له علاقة بالتخطيط السياحي
- التركيب العمري والنوعي مهم في التخطيط السياحي
- التركيب الاقتصادي للسكان يبين ضرورة مساهمة نشاط السياحة في خلق مناصب شغل
- الخصائص الاجتماعية والثقافية للسكان عنصر مهم في الجذب السياحي
- مستوى الدخل للسكان يلعب دورا هاما في نجاح الحركة السياحية.

في الحقيقة هذه فرضيات ننطلق منها لعرض الموضوع حسب تصورنا كجغرافيين مهيئين وباحثين في التخطيط السياحي ، لعلنا نساهم في إضافة ما كتبه الاقتصاديون وعلماء الاجتماع في مثل هذه المواضيع.

هدف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على السكان كأحد المقومات البشرية التي تلعب دورا هاما في ممارسة النشاط السياحي في منطقة باتنة وبالتالي التخطيط لها، كما تهدف الدراسة أيضا إلى تبيان ضرورة دراسة السكان لممارسة نشاط السياحة من خلال السؤال المطروح في الإشكالية.

منهجية البحث:

اعتمدنا في دراستنا على منهجين رئيسيين: المنهج الوصفي و الإحصائي و ذلك حسب طبيعة الموضوع المعالج.

المنهج الوصفي: اتبعنا هذا المنهج لجمع المعطيات الخاصة بإقليم ولاية باتنة من خلال مختلف البيانات والإحصائيات المتعلقة بالسكان كنموهم وتركيبهم العمري والنوعي وكذا تركيبهم الاقتصادي.

المنهج الإحصائي: ونقصد به الطريقة الإحصائية التي استخدمناها في هذه الدراسة والمتعلقة بتحليل البيانات الإحصائية المبينة في الجداول، المتعلقة بالسكان وخصائصهم التي يمكننا بعد تحليلها إلى تبيان تأثير العوامل المختلفة حتى يسهل فهم الظواهر. وللوقوف على

اتجاهات تطور الحياة الاجتماعية، لجأنا إلى جمع معطيات إحصائية من خلال عدة مصادر وقمنا بدراسة هذه الإحصائيات وتحويلها إلى نسب مئوية مما يسمح لنا بالمقارنة و التحليل و الربط و التعليل.

السكان والنشاط السياحي:

يعد السكان في النشاط السياحي العامل الإنتاجي والاستهلاكي في آن واحد، فهم المستقبلون للزوار، ويعطي للسياحة مدلولا في تسخير الإمكانيات الطبيعية والبشرية مستغلا في ذلك قدراته في العمل وتوفير السلعة السياحية الكمية والكيفية (**إلياس شاهد و عبد النعيم دفرور، 2017**)، لذلك كان من الأهمية دراسة سكان منطقة البحث من حيث عددهم وتركيبهم حسب الجنس والنوع وكذا تركيبهم الاقتصادي، مما يمكن إعطاء صورة واضحة عن مدى توافر الأيدي العاملة ونوعيتها، وكذا مدى منافسة السياح الوافدون للسكان المحليين في استهلاك حاجاتهم اليومية من غذاء ومياه وطاقة، وبالتالي تتبع العلاقة بين الزيادة السكانية والزيادة في توافد السياح، لذا من الضروري تقديم معطيات حول سكان منطقة البحث، على أن تشكل هذه المعطيات قاعدة بيانات للتخطيط السياحي في منطقة الدراسة وهذا على النحو التالي:

تطور السكان:

جدول رقم(01) النمو السكاني في ولاية باتنة خلال الفترة 1966- 2008

تعداد 1966	تعداد 1977	تعداد 1987	تعداد 1998	تعداد 2008	تقديرات 2012
373.086	556.898	757.059	968.820	1.119.791	1 209 500
معدل نمو السكان	3,6	3,04	2,2	1,4	

المصدر: http://www.ons.dz/IMG/pdf/pop9_national.pdf

يتبين من خلال هذا الجدول أن حركة النمو السكاني في ولاية باتنة قد ازدادت خلال مدة 42 سنة بمقدار746705 نسمة أي بزيادة سنوية تقدر بـ: 17779 نسمة .

ولتفسير ظاهرة النمو هذه حسب الفترات المبينة في الجدول المشار إليه فإننا نجد ما يلي:

فترة 66– 77:

بلغ عدد سكان الولاية في سنة 1966 أي بعد الاستقلال بأربع سنوات بنحو 373086 نسمة، ليزداد بوتيرة سريعة خلال 11 سنة إذ وصل عدد السكان سنة 1977 م نحو 565898 نسمة أي بمتوسط زيادة سنوية تقدر بـ: 16710 نسمة وهكذا يقدر معدل النمو السكاني بـ: 3,6 %. إن ارتفاع معد النمو في هذه الفترة يرجع إلى الإقبال على الزواج بعد خروج الاستعمار الفرنسي، وكذا عدم مراعاة تحديد النسل في هذه الفترة، رغبة في إنجاب الذكور من طرف أرباب العائلات لعدة اقتناعات اجتماعية واقتصادية.

فترة 77– 87:

وصل عدد سكان الولاية في عام 1977 م بنحو 556898نسمة، ليصبح عدد السكان عام 1987 م نحو 757059 نسمة، أي أن الزيادة خلال هذه الفترة بلغت 200161 نسمة، بما يعادل 20016 نسمة سنويا و بمعدل نمو سنوي يقدر بنحو 3,05 %.

إن انخفاض معدل النمو السكاني في هذه الفترة وإن كان بنسبة قليلة لا تتجاوز 0,5 % يرجع إلى عاملين رئيسيين ، أولهما أن العائلات شرعت في تعليم بناتها بصورة كبيرة وهذا بداية من سنة 1976 م مما يؤخر عملية الزواج وبالتالي تأخير الإنجاب ، أما السبب الثاني فيعود إلى الهجرة من الريف إلى المدن بحثا عن العمل في المجالين الصناعي والتجاري، وبالتالي لابد للعائلة من

مواجهة الحياة في المدن التي تتطلب مصاريف أكثر، مما جعلها تفكر تلقائيا في تحديد النسل.

ج- فترة 87- 98 :

وهي فترة العشرية السوداء، إذ شهدت فيها الجزائر مشاكل اجتماعية كثيرة ناجمة من جرم الإرهاب والانسداد السياسي والفراغ الأمني، كل هذا جعل الشباب يهجر مكرها محل إقامته ويعزف عن الزواج. إن هذه الأسباب جعلت النمو السكاني ينخفض في ولاية باتنة كما يتضح من الإحصائيات المبينة في الجدول السابق، حيث وصل معدل النمو في هذه الفترة إلى 2,2 %.

د- فترة 98- 2008:

من خلال ملاحظتنا لمعدل النمو في هذه الفترة، يظهر أنه قد أنخفض عن معدل الفترة السابقة، وذلك لأن الوضع الأمني لم يستقر بمنطقة الدراسة إلا في السنوات الأخيرة من الألفية الأولى، كما أن هذه الفترة تتسم بارتفاع معدل البطالة حيث بلغت 40% في بداية هذه الفترة وبالتحديد في سنة 2000 م، ومشكلة البطالة هذه يعاني منها الشباب في ولاية باتنة، سواء المتخرجين من الجامعات أو غيرهم، نتيجة للظروف الصعبة التي مرت بها البلاد، كعدم توفر الأمن وهجرة الكثير من سكان الريف وتركهم لأراضيهم الزراعية وهجرتهم إلى المدينة، مما جعلهم يساهمون بشكل كبير في خلق أزمة سكن، وهذا ما جعل ازدحام عدة أسر في مسكن واحد. كل هذه الأسباب تلزم العائلات إتباع في هذه الفترة سياسة تنظيم النسل والتقليص من نسبة الإقبال على الزواج وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى انخفاض نسبة المواليد.

من خلال تحليلنا لتطور السكان بولاية باتنة نستطيع القول بأن هناك زيادة سكانية معتبرة، وإذا استمر النمو بالوتيرة الأخيرة أي بمعدل نمو 1,4 % فإن عدد سكان الولاية سيصل في غضون عام 2030 م إلى1520449نسمة، ويمكن أن يكون عددهم أكثر إذا كان هناك تغييرات كبيرة خلال السنوات القادمة، هذه التغييرات تؤثر في نسبة معدلات النمو السكاني مثل ارتفاع عدد المواليد وقلة الوفيات وحركة السكان من جهات أخرى إلى ولاية باتنة كالهجرة والتوافد السياحي. لذا يجب أخذ تطور عدد السكان في الحسبان عند التخطيط السياحي بالولاية لتقدير الاحتياجات اليومية من خدمات وأمن غذائي ومائي.

السكان حسب الجنس والعمر:

تعد دراسة التركيب العمري والنوعي للسكان من العناصر الهامة في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بهدف الاستفادة الكاملة من الموارد المتاحة في ضوء الإمكانيات البشرية المتوفرة ، ففي التنمية السياحية تمكن هذه الدراسة من تحديد ملامح النشاط السياحي حسب فئات العمر وتهيئة المناطق السياحية للصغار والشباب وكبار السن، لأن الراحة والتسلية تهم كل فرد من المجتمع، كما تستفيد خطة التنمية السياحية من هذه الدراسة في تحديد قوة المجتمع من الفئة العاملة ودمج العاطلين عن العمل في النشاط السياحي وإسهام الإناث في النشاطات التربوية والصناعات التقليدية، خاصة في المناطق الريفية.

من هذا المنطلق نشير في هذا البحث إلى التركيب العمري والنوعي لسكان ولاية باتنة، كما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم (02): التركيب العمري والنوعي لسكان ولاية باتنة سنة 2008 م

فئات العمر	ذكور	إناث	المجموع	النسبة %
0 - 5	50075	47254	97329	7,8
6 - 12	101308	96737	198045	17,68
13 - 19	118242	113132	231374	20,66
20 - 49	236238	235657	471895	42,14
50 - 59	30230	29487	59717	5,33
60 - 64	10363	10513	20876	1,86
65 و أكثر	20125	20430	40555	3,62
المجموع الكلي	566581	553210	1119791	100

المصدر: انجاز الباحث وفقا لمعطيات مديرية البرمجة وإعداد الميزانية لولاية باتنة.

فئة الصغار:

وتشمل هذه الفئة كل فرد يتراوح عمره بين الصفر والخمس سنوات، وهي الفئة التي تتطلب عناية خاصة وتهيئة حدائق للتسلية والترفيه تضم فضاءات مجهزة بمقاعد تخصص للأولياء والمرافقين لهذه الفئة من العمر، وقد بلغ عددها 97329 نسمة تمثل نسبة 8,71 %من سكان الولاية. فالترفيه بالنسبة لهذه الفئة لا يحتاج إلى تذكرة سفر ولا إلى حقائب وحجوزات فندقية، وبالتالي تكفيهم تجهيزات بسيطة وأدوات اللهو تناسب سنهم، ويكتسبون من خلالها مجموعة مهارات وسلوكيات ومعارف لازمة لنضوجهم. ويمكن لكل بلدية من بلديات الولاية إنشاءروضة لترفيه هذه الفئة. علما بأن هذه الفئة وخاصة الذين تتراوح أعمارهم بين 4-5 سنوات يمكن تلقينهم الثقافة السياحية كالمحافظة على المساحات الخضراء ومنع رمي النفايات.

فئة الأطفال:

يدخل في عداد هذه الفئة الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين ستة سنوات و 12 سنة، فالسياحة بالنسبة لهذه الفئة تؤسس على مبدأ اكتشاف معالم وأماكن بعيدة تسبح فيها مخيلتهم، وتحلق بهم إلى فضاءات يرسمون أبعادها بأيديهم. فولاية باتنة يوجد بها نسبة معتبرة من هذه الفئة، إذ تمثل 17,68% من سكان الولاية، لذا يتطلب العناية بهم وتوفير لهم المساحات الفسيحة التي ترضي طاقة الطفل فهو يدخلها بقصد الركض فيها حينا والمشي حينا آخر، مع تجهيز ميادين التسلية بوسائل تنمي مواهبهم الثقافية،على أن تتنوع الأنشطة في مخيمات صيفية أو رحلات التعرف على الطبيعة وزيارة المدن أو الأماكن التاريخية، لأن هذ الفئة ترغب كثيرا في التعرف إلى مهارات مثيرة ومشاركة الآخرين، مع ضرورة التأكيد على أن تكون الألعاب شاملة لشروط السلامة وعدم التهاون في الأمر.

فئة المراهقين:

إن هذه الفئة تنظر إلى النشاط السياحي من وجهة البحث عن الإثارة والحياة الاجتماعية المتجددة وتكوين الصداقات، وهي فئة تضم كل فرد يتراوح سنه بين 13 و19 سنة ، إن هذه الشريحة حاضرة بولاية باتنة وبنسبة 20,66 % كما يتبين من خلال الجدول السابق ، لذا يتطلب على السلطات مراعاة برامج الراحة والتسلية لهذه الشريحة الاجتماعية التي تشعر بشكل طبيعي إلى بذل المجهود لتحقيق غايته، وأن الأشخاص في هذه المرحلة في حاجة ماسة للنشاط

البدني وبرامج تنشيطية لإنمائهم صحيا وعقليا، بكون الشاب مازال يحتاج إلى من يوجهه ويراقب تصرفاته كي لا تحدث أمور لا تحمد عقباها.

فئة الراشدين:

وهي الشريحة التي ينتمي إليها الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين 20 و 49 سنة ، و يتبن من خلال الشكل رقم (04) بأن هذه الفئة هي السائدة في مجتمع ولاية باتنة وبنسبة كبيرة تقدر بـ 42,14 % من إجمالي السكان، والتخطيط السياحي لابد أن ينتبه إلى هذه الفئة من زاويتين ، تتمثل الأولى في أخذ البطالين في الحسبان لاستفادة من مناصب شغل ضمن القطاع السياحي وبالتالي تقليل نسبة البطالة، أما القضية الثانية والتي تهم هذه الطبقة الاجتماعية هي الأنشطة السياحية التي تقوم بها طوال أوقات الفراغ أثناء عطل نهاية الأسبوع أو أثناء العطلة السنوية. لذا فالتهيئة السياحية على مستوى بلديات منطقة البحث يجب أن تهتم بهذه الفئة الناضجة، بتجهيز مناطق ومواقع سياحية من أجل الاسترخاء من عناء العمل والإرهاق طوال العام، فهي بذلك لابد أن تركز على الاستمتاع بالمناظر الطبيعية و هدوء جبال الأوراس و حياة الأرياف والتعرف على منعرجات وادي عبدي وشرفات غوفي الطبيعية وكل الاختلافات الموجودة عبر كامل تراب الولاية وعلى عادات وتقاليد سكان الأوراس.

الشكل رقم (01): الهرم العمري والنوعي لسكان ولاية باتنة سنة 2008

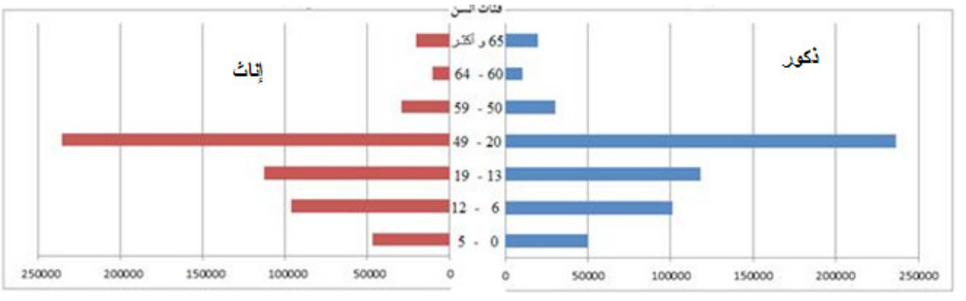

فئة الشيوخ:

إن الهدف من النشاط السياحي هو تحقيق الرغبة الترفيهية لجميع الفئات العمرية، بمعنى أن السياحة تعزز الاندماج الاجتماعي والعلاقات بين جميع مراحل الحياة، فالكهول وكبار السن في ولاية باتنة رغم قلة عددهم، إذ يشكلون 10,81 % فقط من عدد سكان الولاية، إلا أنه من الضروري الأخذ بعين الاعتبار تطلعاتهم في المجتمع.

إن هذه الشريحة الاجتماعية في الحقيقة تضم الأفراد المتقاعدين أو ما قبل التقاعد، لذا فسياحة هؤلاء تكون على نوعين أحدهما يقدم عليه أفراد هذه الشريحة فور تقاعدهم، وهو يتميز بالبحث عن الاستجمام والراحة والهدوء ولذلك يتم اختيار الأماكن التي تبعد عن المدن المزدحمة والحياة الصاخبة والأجواء التي تذكر السائح بالاكتئاب ومتاعبه. وثانيهما يتميز بزيارة الأماكن التي كان يحلم بها السائح طيلة حياته ولكنه لم يكن لديه الوقت الكافي للقيام بها قبل تقاعده، وهذه الفئة من السياح غالبا ما تتكون من الزوج والزوجة والأبناء.

ويتطلب تجهيز المواقع السياحية لهذه الفئة بمرافق توفر لكبار السن شروط الراحة، وخصوصا عندما يتعلق الأمر بالإقامة، حيث يتطلب إنشاء بيوت أو شقق التقاعد (maisons de retraite)، تكون مكيفة وفقا للأحوال الجوية لمقاومة برد الشتاء وحرارة الصيف، كما يتطلب توفير الغذاء الجيد، وتجهيز المراكز السياحية لهذه الفئة أيضا بمرافق الجلوس الجماعي،

لأن هذه الفئة تحتاج إلى المؤانسة أكثر، كما يتطلب تجهيز المواقع السياحية بأنشطة رياضية ملائمة وتوفير مساعدات طبية عند الضرورة.

التركيب الاقتصادي للسكان:

تعد دراسة التركيب الاقتصادي للسكان من العناصر الهامة في التخطيط السياحي ، فيمكن من خلال هذه الدراسة تحديد ملامح النشاط الاقتصادي وأهمية عناصره وارتباطها بظروف البيئة الجغرافية، كذلك يمكن الوقوف على نسب اليد العاملة ومدى مساهمة قطاع السياحة في الشغل وامتصاص البطالة، لذا وجب علينا التطرق لهذه الدراسة في منطقة البحث وذلك على النحو التالي:

إن سكان الولاية الداخلين في سن العمل عرفوا خلال الفترات 1987، 1998، 2008 تطورا كبيرا، كما يتضح من خلال الجدول رقم (03).حيث بلغ عددهم في سنة1987 م حوالي 168993 نسمة منهم 39659 عاطل عن العمل ،أي أن نسبة البطالة في هذه السنة كانت تساوي 23,46 % وفي عام 1998 م وصل عدد السكان في سن العمل نحو 219540 نسمة منهم 74860 فردا عاطلا عن العمل، مما يدل على أن نسبة البطالة كانت 34 %، و في عام 2008 ارتفع عدد السكان النشطين إلى 552488 نسمة منهم 307067فردا يعملون فعلا،(الوكالة الوطنية للتنمية والاستثمار سنة، 2013) وبالتالي كانت نسبة البطالة في هذه السنة تساوي 44,42%.

جدول رقم (03): سكان الولاية في سن العمل النشطين وغير النشطين خلال 1987 -2008

المصدر: إنجاز الباحث وفقا لمعطيات كل من مديرية التخطيط والبرمجة لولاية باتنة، و الوكالة الوطنية للتنمية والاستثمار

من خلال الجدول رقم (03) والشكل المرفق له، نلاحظ أن عدد السكان العاطلين عن العمل شهد ارتفاعا ملحوظا من عام1987إلى غاية 2008، وتعود الأسباب الهيكلية للبطالة خلال هذه الفترة إلى سببين رئيسيين هما:

- العوامل الخارجة عن سيطرة الحكومة.
- العوامل التي تدخل في نطاق سيطرة الحكومة بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

العوامل الخارجة عن سيطرة الحكومة:

من أهم العوامل الخارجة عن نطاق سيطرة الحكومة ولها الأثر الواضح على زيادة نسب البطالة في الجزائر ما يلي:

- اعتماد الاقتصاد الجزائري على المحروقات كمصدر أولي لتمويل إيرادات الدولة، ما أدى إلى ارتباط إيراداتها من العملة الصعبة بشكل كبير بعائدات هذه الصادرات التي تتميز بعدم استقرار أسعارها، وهذا ما أدى إلى الانكماش الاقتصادي، خاصة في النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي، حيث أنخفض مستوى الدخل وقلت مناصب الشغل.
- النمو الديموغرافي خاصة وأن الزيادة السكانية في الجزائر لا تتناسب والزيادة في عدد الوظائف المطروحة في سوق العمل، ومن الجدول السابق يتضح أن عدد السكان في سن العمل بولاية باتنة قد تضاعف أكثر من ثلاث مرات في فترة 87- 2008.

1987		1998		2008	
سكان في سن العمل	العاطلون عن العمل	سكان في سن العمل	العاطلون عن العمل	سكان في سن العمل	العاطلون عن العمل
168993	39659	219540	74860	552488	245421

– نقص مصادر التمويل لإنعاش وتمويل المشاريع الاقتصادية، وهذا راجع لضعف أداء الجهاز الإنتاجي وقلة الادخار لمختلف الفاعلين الاقتصاديين بسبب انخفاض القدرة الشرائية للعائلات.

– أزمة المدفوعات الخارجية التي عرفتها الجزائر والتي تأزمت بعد سنة 1986، بسبب انخفاض أسعار البترول، وتفاقم أزمة المديونية الأمر الذي نتج عنه عجز في الاقتصاد الوطني وعجز في المؤسسات الاقتصادية، وهذا أدى إلى زيادة الضغوط التي تفرضها المؤسسات المالية الدولية وما صحبها من تسريح جزئي وجماعي للعمال نتيجة لإعادة هيكلة الاقتصاد الوطني.

العوامل الداخلة في نطاق سيطرة الحكومة:

تتعلق مجمل هذه العوامل بالاختلال الهيكلي للوحدات الاقتصادية، التوزيع السكاني وكذا ما يتعلق بدرجة تأهيل اليد العاملة، وعليه يمكن حصر هذه العوامل فيما يلي:

- عدم التوافق بين مخرجات التكوين واحتياجات التشغيل، سواء كان هذا التكوين جامعيا أو مهنيا نظرا لضعف الوساطة في سوق العمل ووجود اختلال بالنسبة لتقريب العرض من الطلب في مجال التشغيل.
- نقص في اليد العاملة المؤهلة وضعف تطورها في الحرف، إذ بالرغم من توفر مناصب شغل ذات امتيازات عالية خاصة بالمؤسسات الأجنبية الناشطة في الجزائر إلا أنها تجد صعوبات في إيجاد أشخاص يتوفرون على الكفاءات المطلوبة.
- انعدام المرونة في المحيط الإداري والمالي الذي يشكل عائقا أمام الاستثمار، إذ يواجه الشباب البطال صعوبات جمة في الحصول على قروض بنكية أو مساعدات مالية من طرف الدولة، ما أدى بالشباب إلى ترجيح النشاط التجاري الذي لا ينشئ مناصب شغل كثيرة على حساب الاستثمار المولد لمناصب الشغل والذي من شأنه دفع عجلة التنمية.
- العامل الاجتماعي– الثقافي الذي يدفع إلى تفضيل العمل المأجور وعقود ما قبل التشغيل، مما أدى إلى إضعاف روح المبادرة التعاقدية الدائمة، لاسيما لدى المقاولين الشباب، وهذا بدوره أدى إلى ظهور ما يعرف بالبطالة الفكرية.
- الاختلال الهيكلي الناجم عن نقص إنتاجية القطاع الزراعي والصناعي مع تقلص دعم الاستثمارات الإنتاجية، وعدم وجود تكامل بين التكوين والتشغيل.

إضافة إلى ما سبق ذكره، فلا أحد ينكر أن ارتفاع عدد السكان العاطلين عن العمل خلال عشرين سنة الأخيرة، سواء في ولاية باتنة أوفي الجزائر ككل، كان نتيجة للظروف الصعبة التي مرت بها البلاد، كعدم توفر الأمن وهجرة الكثير من سكان الريف وتركهم لأراضيهم الزراعية.

توزيع القوى العاملة على الأنشطة الاقتصادية:

لا تقتصر أهمية التركيب الاقتصادي للسكان على حجم القوى العاملة فيها فقط، بل على توزيع تلك القوى على الأنشطة الاقتصادية المختلفة أيضا، فعدد العاملين في ولاية باتنة حسب آخر إحصاء للسكن والسكان الذي تم عام 2008 قد بلغ 307067 عاملا، مما يبين أن نسبة النشاط الاقتصادي تعادل 55,57 % لكن هذا ليس كافيا لوحده لتقدير قوتها الاقتصادية أو وزنها التنموي إذ ينبغي معرفة نسبة العاملين في كل قطاع من قطاعات الإنتاج المادي كالزراعة والصناعة والتعدين وفي قطاع الخدمات أيضا.

جدول رقم(04): توزيع اليد العاملة على

القطاعات الاقتصادية في ولاية باتنة حسب تعداد السكن والسكان 2008

القطاعات	عدد العمال	النسبة %
الأشغال العمومية والبناء	874 71	23,4
الإدارة	423 69	22,6
الزراعة	878 68	22,4
التجارة	119 46	15
الخدمات	401 26	8,6
الصناعة	24 372	8
المجموع	067 307	100

المصدر: مديرية البرمجة وإعداد الميزانية لولاية باتنة

تتميز ولاية باتنة، كما يتبين من الجدول رقم (04) بارتفاع نسبة القوى العاملة وبحصص تتساوى تقريبا بين قطاعات الأشغال العمومية والإدارة والزراعة، وهذا في الحقيقة دلالة على مستوى التأخر، ويعكس صورة الجزائر كدولة نامية، والدليل على ذلك انخفاض نسبة اليد العاملة في القطاع الصناعي، إذ بلغت 8 % في حين يشهد قطاع الخدمات أيضا قلة كبيرة في عدد العاملين به وبنسبة 8,6 %، ويعد انخفاض نسبة اليد العاملة في هاذين القطاعين من عناصر ضعف التركيب الاقتصادي لسكان الولاية.

يعد ارتفاع نسبة القوى العاملة في الأشغال العمومية مؤشرا على زيادة الطلب على السكن وتهيئة الطرق والهياكل القاعدية، بينما يعمل في قطاع التجارة ما يقارب 6/1 سدس القوى العاملة في الولاية وهذا يعكس أهمية العمل الحرفي في الولاية ونقص الوظائف العمومية كما يفسر ارتفاع السوق الاستهلاكية في مواد البناء والأدوات المكتبية والإدارية، والزراعية.

ويبين الجدول رقم (05)، مدى مساهمة القطاع السياحي في الشغل.

جدول رقم (05) : مساهمة الخدمات السياحية في الشغل بولاية باتنة حسب تعداد السكن والسكان 2008

نوع المؤسسة	العدد	عدد العمال	النسبة % من الخدمات
فندق	14	144	0,54
وكالة سياحية	22	102	0,39
المجموع	36	246	0,93

المصدر: مديرية البرمجة وإعداد الميزانية لولاية باتنة

يتضح من الجدول رقم (05)، بأن قطاع السياحة يساهم بنسبة ضئيلة جدا في الشغل، حيث لم تتجاوز هذه النسبة 0,93 % من عدد العمال الذين يشتغلون في قطاع الخدمات، وهذا يفسر بأن قطاع السياحة في ولاية باتنة لم يشهد بعد تطورا في تكريس الوظائف ، وهو يقتصر فقط على الفنادق والوكالات السياحية ، كما أن مساهمة قطاع السياحة في الشغل دلالة على عدم وجود نشاط سياحي ولا خدمات غير العمل الفندقي ونشاط وكالات السياحة والسفر.

طبيعة وخصائص السكان:

تتأثر السياحة في أي منطقة بطبيعة سكانها وخصائص البيئات المحلية، فالسائح يشعر بالراحة ويتمتع بوقته عندما ينزل على مجتمع مضياف ومتنوع الطباع والخصال وخاصة الحميدة منها، وفي هذا الصدد نحاول عرض طبيعة سكان ولاية باتنة وخصائص بيئاتهم المحلية وربط ذلك بالسياحة في النقاط التالية:

سمات السكان:

ينتمي أغلب سكان منطقة الدراسة إلى الجنس البربري، ويُعرفون باسم الشاوية الذين عرفوا خلال المراحل التاريخية القديمة والوسيطة قدوم موجات بشرية من شعوب عديدة ومختلفة الأجناس مثل الفينيقيين والرومان والوندال والبيزنطيين والعرب، فكان

الاحتكاك والتعايش مع بعضهم، غير أن طبيعة سكان ولاية باتنة وتنظيمهم القبلي والأسري الصارم حملهم على العيش قريبا من الغزاة دون الانصهار والاختلاط الواسع مع هذه الشعوب، خاصة فيما تعلق بالنسب والمصاهرة، و إن أخذوا عنهم الكثير من القيم والعادات والثقافات، ويتكون سكان ولاية باتنة بدورهم من العديد من القبائل.

إن أهالي ولاية باتنة ، يعيشون منذ الأزل في منحدرات الجبال التي تحتضنهم كالأم الحنون، يحتمون بها من غضب الطبيعة، ويستمدون منها لون بشرتهم التي تعد بيضاء على العموم، ومن صخورها طبيعة مزاجهم المتمثلة في المتانة ومن شموخ جبالها عزتهم المتمثلة في الحرية، ومن ثم تميزوا عن غيرهم، فكانت طبيعة الأوراس الصائن على وحدة الأصالة للسكان فحافظت على خصائص الأهالي، وقاوم سكان المنطقة امتزاج الأجناس واشتهروا بصد الغزاة مهما كانت قوتهم وهكذا تمكنوا من الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم ولهجتهم ومعتقداتهم.

وإذا كان الإنسان ابن بيئته، فإن من أهم سمات الشاوية الشجاعة والمهابة التي تسيطر على اغلب تصرفاتهم وهذا راجع لطبيعة أرضهم التي ساهمت عبر تاريخهم العريق في بلورة سلوكهم ومعتقداتهم التي لم تنصهر إلا للإسلام لاحتضانهم له دينا ومعتقدا وسلوكا وكل ذلك لحبهم العظيم لهذا الدين الحنيف ، إنها سمات اكتسبها الشاوي حقا من بيئته على مر العصور التاريخية، وفوق ذلك كله يتمتع سكان ولاية باتنة والأوراس ككل بصفة الكرم والحياء الذي هو من الإيمان الصادق وهذه صفات تجعلهم محبوبين عند السياح وهذا ما يشجع التخطيط للسياحة الاجتماعية التي تهدف إلى التعرف على لغة وعادات وتقاليد المجتمع.

مستوى الدخل:

يعد مستوى الدخل أحد أهم العوامل البشرية المؤثرة في صناعة السياحة، لتأثيره المباشر في تحديد مستوى الطلب السياحي؛ إذ يعني ارتفاع مستوى الدخل تزايد الإقبال على السفر والسياحة ، وخاصة خلال الإجازات والعطل سعيا وراء الراحة والتنزه والتسلية إلى جانب دفع ثمن الخدمات التي تقدم للسياح، مما يدعو إلى القول بأن النشاط السياحي هو إمكانية تتاح للميسورين دون غيرهم في معظم الأحوال.

في هذا الصدد يمكن قياس مستوى الدخل الفردي في ولاية باتنة بمستوى الدخل للمواطن الجزائري، حيث أكد تقرير اقتصادي صدر عن معهد الإحصاءات التابع للبنك الدولي، أن معدل الدخل السنوي للمواطن الجزائري في سنة 2012 م يقدر بـ 4400 دولار أي ما يعادل 29670 دينار جزائري في الشهر، وترتب الجزائر ضمن شريحة الدول العربية، ذات الدخل الفردي السنوي المتوسط الذي يتراوح من 3,1 إلى 5,1 ألف دولار سنويا (م. مجيب، 2010).

وانتماء الجزائر إلى العالم النامي له عدة أبعاد في السياحة، أهمها أن هذا النشاط يعد من الأنشطة الاقتصادية التي توليها الدولة اهتماما خاصا، أو بعبارة أخرى تسعى إلى استغلال إمكانات الجذب السياحي في مختلف مناطقها، حيث قامت مديرية السياحة لولاية باتنة بإعداد دراسات لتهيئة ستة مناطق توسع سياحي، وهوما سيوسع قاعدة السياحة وحجم الحركة السياحية بولاية باتنة ، ويتمثل البعد الثاني في التجربة التي خاضتها في السنوات الأخيرة ، إذ هيأت عدة منتزهات للتسلية (parcs de loisir) ووضع أصحابها مبالغ معقولة للدخول إليها من طرف المتنزهين حيث يبلغ ثمن تذكرة الدخول 400 د.ج ، وهذا ما يعني تيسير السياحة لأصحاب الدخل المتوسط، لكن هذا لا يعني بأن ولاية

باتنة تتوفر على كل اليسيرات في الأسعار، بل تعتبر أسعار الفنادق مرتفعة نوعا ما إذ يقدر مبلغ المبيت لليلة في فندق شيليا نحو 5000 د.ج.

وفوق ذلك كله فإن متوسط دخل الفرد في ولاية باتنة قياسا بمتوسط الدخل الفردي للمواطن الجزائري يعتبر قليلا للقيام بزيارة بعض المناطق السياحية في ولاية باتنة وتغطية مصاريف الأكل والنقل والمبيت معا.

العادات والتقاليد:

لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية مجموعة من الخصائص والمميزات الاجتماعية والنفسية والتاريخية التي تعبر عن كيان ينصهر فيه جميع أفراد المجتمع، فسكان ولاية باتنة يتميزون بتراث ثقافي له خصوصيات تشكل هويتهم الذاتية و يسعون جاهدين للمحافظة عليها وصيانتها من الاندثار، رغم تغيير نمط الحياة والضفر بالحضارات الحديثة، ومن بين عادات وتقاليد سكان ولاية باتنة والتي لا تزال قائمة ما يلي:

الطبخ التقليدي:

إن الزائر لولاية باتنة، خصوصا في مناطقها الريفية قد يغريه الطبق التقليدي، وليس من أجل الأكل فحسب بل لمعرفة طرق تحضيره والأواني المستعملة في ذلك، فالمطبخ في ولاية باتنة بسيط في مكوناته الأساسية حيث يعتمد على الحبوب بخاصة الشعير والقمح والمصادر الحيوانية كاللحوم وحليب البقر والغنم والماعز، و أيضا السمن وزيت الزيتون وحتى العسل ذو الجودة والنكهة المميزتين، بسبب مصدره الجبلي والعشبي، أما المأكولات التي يمتاز بها سكان الأوراس في الطبخ الأوراسي فهي متنوعة، وتختلف من قرية إلى أخرى و من أشهاها: الكسكس (البربوشة) بلحم القديد، والعصيدة بالسمن (ثاحريرث)، والرفيس وزيراوي بسمن الغنم وتشهيره بالعسل وكذا المسمن، كل هذه الأنواع متواجدة لدى سكان ولاية باتنة والأوراس ككل.

الاحتفال براس السنة الأمازيغية :

من عادات وتقاليد سكان ولاية باتنة الاحتفال برأس السنة الأمازيغية وذلك بحلول يناير الموافق لـ 14 جانفي من كل عام، حيث تنهمك العائلات وعلى مدى ثلاثة أيام متتالية في استحضار عادات المناسبة المميزة تعبيرا عن تمسكها بتراثها المادي والروحي الأمازيغي على مر التاريخ، وتشكل المناسبة فرصة الاستقطاب السياحي لما تنطوي عليه روح التضامن الوطني من رمزيات وإبراز البعد الوطني في هذه المناسبة، وتقول الروايات التاريخية إن المناسبة تعود لانتصار الملك الأمازيغي ششناق على الفراعنة في معركة وقعت على ضفاف النيل سنة 950 قبل الميلاد.

فالاحتفالات بهذه المناسبة التي تعرف بالشاوية (أمنزو أنينار) ، أي الأيام الأولى من الشهر تمثل عادات ترمز للتضامن، ومن ضمن التقاليد التي تعرف بالمنطقة تحضير أكلات وأطباق خاصة، فضلا عن إقامة حفلات تعكس تراث المنطقة، وعرض التحف الحرفية التي تعكس حضارة المنطقة، خاصة الأواني الفخارية، وإجراء مباريات رياضية بين الشباب كانت تعرف بلعبة القوس.

حيث لا زالت العائلات في المناطق الريفية تحتفل بهذا العيد و لمدة ثلاثة أيام كاملة وهي أيام 14،15،16 جانفي، وكل ذلك بعادات وتقاليد لم تتمكن التغيرات العصرية الحاصلة في وقتنا الحالي، من هواتف نقالة وشبكة انترنيت، والهوائيات المقعرة من محوها من أذهان سكان الأوراس، لأنهم يعتبرون التشبث بالهوية الأمازيغية وتذكر بطولات وأمجاد عظيمة، قام بها الأجداد السابقون من شيشناق إلى يوغورطا، ثم

ماسينيسا، يوبا الأول ويوبا الثاني، و الكاهنة (الديهيا) وأبطال آخرون وصولا إلى مصطفى بن بولعيد ومليون ونصف المليون من الشهداء.

الاحتفال بعيد الربيع:

تقوم عائلات المناطق الريفية لولاية باتنة في 16 فيفري من كل سنة أمازيغية الموافق لليوم الأول من شهر مارس للسنة الميلادية، بالاحتفال بعيد الربيع المعروف بـ»ثافسوث»أو ثافسويث كما تسمى في بعض مناطق الولاية، ففي بلدية منعة مثلا تشرف جمعية «تاسريفث» على إحياء هذه المناسبة والتي تبرمج لهذا الغرض نشاطات متنوعة تقوم أساسا على إبراز عادات وتقاليد سكان الأوراس، حيث تقوم العائلات بتحضير مستلزمات المناسبة والمتمثلة في إعداد العصي المعقوفة والمصنوعة من شجرة البلوط والتي تستخدم للتحكم في الكرة المصنوعة من نفس الشجر عند الرجال ومن ضفائر الحلفاء عند النساء، وكل ذلك من أجل المشاركة في المهرجان الرياضي الذي يتم بالحقول والتجمعات السكنية، والذي يعرف مشاركة كبيرة للنساء. يطلق على هذه اللعبة إسم (ثاپورث) أو ثاكورث عند البعض وهذا حسب نطق الشاوية لحرف الكاف ومعناه الكرة . ويردد لاعبي هذه الكرة عبارات تدل على شهامة الرجل أو المرأة وأخرى يعتقدون بأنها تزيدهم قوة ومناعة لمجابهة ظروف الحياة الصعبة.

الى جانب هذا تلجأ بعض النسوة الى الغابة من أجل اقتلاع فسائل العرعار ليتم طحنه، وهي العملية التي تتم في جو يسوده الغناء والزغاريد وكلها تدخل في إطار إحياء التراث الأوراسي.

وعلى العموم، فإن إحياء مثل هذه الأعياد، تشجع على قيام السياحة الاجتماعية والثقافية أيضا.

الأعراس في ولاية باتنة:

في الحقيقة لم يبق من عادات الأعراس في ولاية باتنة إلا الغناء التقليدي المعروف بالرحابة، حيث يتبين للزائر خلال فصل الصيف وفي جل مناطق الولاية، أن عادات الأعراس المألوفة سابقا قد تغيرت كثيرا في السنوات الأخيرة، فبعد أن كانت التقاليد سمة بارزة وشرطا ضروريا لابد من تواجده، أصبح الإعتماد على البصمة التقليدية في الأعراس شرطا ثانويا وأحيانا كثيرة غير مرغوب فيه.

ويظهر ذلك جليا وبوضوح بدءا بمراسيم الحفل، مرورا بالشروط الكثيرة التي ترهق كاهل عائلتي العريسين، وصولا بالأطباق العصرية والحلويات المختلفة التي غزت موائد الأعراس، وانتهاء بمكان إجراء العرس، فبعد أن كان منزل العريس والعروس على حد سواء يعيش أجواء من الفرحة والبهجة أثناء حفل الزواج، أصبحت تلك الأخيرة حزينة وبائسة بعد أن هجرها أهلها مخيرين، واستبدلوها بأماكن أكثر رفاهية وإغراء، والمتمثلة في قاعات الأفراح وما أكثرها هذه السنوات الأخيرة بولاية باتنة وفي كل القطر الجزائري.

هذه القاعات غيّرت من طريقة إحياء حفلات الزواج و الختان، التي كانت حفلاتهما تقام بالمنازل، أين كان عبقها وشهرتها معروفة على المستوى الوطني، بل وأصبح المغتربون من سكان الأوراس الكبير يستغلون عطلهم للعودة إلى أرض الوطن لحضور تلك الأعراس، حتى نرى الأجانب الذين يصحبونهم لقضاء العطلة الصيفية في الأوراس يتفاعلون مع أجواء العرس، والتي تكون فيها الشخشوخة والبارود والخيالة والحنة جوهر العرس وملتقى الأحباب والخلان.

لكن مؤخرا نلاحظ قصورا في إحياء هذا التراث اللامادي، مما سيضعف من حركة السياحة في ولاية باتنة ، حيث أصبح في السنوات الأخيرة التأثر بما هو حاصل خارج الجزائر، مما جعل من الداعين إلى إقامة أعراس على طريقة المسلسلات المكسيكية والتركية، واقعا قلب كفة الموازين لصالح هؤلاء، فأصبح الآباء

يرضخون لطلبات الأبناء ''العرسان'' بإقامة أعراس في قاعات لا يستغرق بقاؤهم بها أكثر من 10 ساعات لا غير ومبلغ يفوق 100 ألف دينار جزائري ، ما يعادل مليون سنتيم للساعة وأحيانا أكثر.

الفلكلور الأوراسي:

ترتبط الأفراح في ولاية باتنة بالأغنية الشاوية، التي تنوعت بتنوع عادات وتقاليد أهاليها فهي تجمع بين الأغنية الثورية و الدينية، و تستهل كلماتها دائما بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أنها تؤدى جماعة أو فرادى.

فالغناء الأصيل بالنسبة للإنسان الشاوي كان دائما وسيلة تعبير عن الذات والتمسك بالأمل للتغلب على الألم الذي كان يعيشه جراء صعوبة تضاريس الأوراس ومواجهته الدائمة لأنواع الغزو. لذا بقي هذا النوع خالدا في ذاكرة الجيل الجديد الذي يرتاده في المناسبات إلى وقتنا هذا، وهذه المناسبات تتحول بدورها إلى لقاءات حميمية بين أفراد القرية والقبيلة في مظاهر فرحة عامة، تعبر عن ترابط المجتمع وصلابته.

هذا ما يشجع على نجاح السياحة الثقافية في منطقة الدراسة، لذا يجب التأكيد على استدامة التراث الحضاري لضمان استمرار الطلب السياحي، خاصة وأنه ظهر في الآونة الأخيرة عدة فنانين من ولاية باتنة والذين ساهموا في إعداد موسوعة فولكلورية أوراسية متميزة، بهدف حفظ وعرض مظاهر التراث الحضاري، من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة و بما يتناسب و نمط الحياة المعاصرة.

الصناعات التقليدية:

اصبح واضحا أنه إذا كان هناك قطاع يرتبط مصيره ارتباطا وثيقا بمصير السياحة، فهو قطاع الحرف التقليدية، ذلك أن الزائر ، ايا كان نوع السياحة التي يمارسها، قلما يغادر المنطقة المقصودة دون أن يحمل معه تذكارا من الصنع المحلي. وهذا ما لاحظناه عند زيارتنا لمدينة تيمقاد او شرفات غوفي أين نجد أدوات تقليدية متنوعة من حيث الشكل واللون، وذلك نظرا لتوفر المواد الأولية من صوف، طين وخشب ومن أهم هذه الصناعات ما يلي:

الزربية:

تتميز هذه الزربية بعراقتها إذ ارتبطت بالمنطقة منذ سنين طويلة، كما تزينها أشكال وألوان متنوعة ترمزإلى معان أو قيم سائدة ، حيث يلاحظ السائح فيها رموزا بربرية كالخلالة التي تستعملها المرأة الأوراسية في لباسها التقليدي، ورسومات للطيور التي تعيش في غابات الأوراس والخيل التي تعبر عن الأصالة الأمازيغية، كما هوالحال بزربية أريس، فم الطوب. أيضا نلاحظ رسومات في أنواع أخرى تعبر عن الفروسية ورسومات أبطال الثورة التحريرية وحمل البندقية، كما هو الحال بزربية بريكة، أما عن الألوان المستعملة فتمتزج بين الأحمر والأصفر والأخضر والأسود، التي تعبر عن الحرية ودم الشهداء والحزن عليهم والسعادة بالاستقلال في آن واحد، أي أن اختيار الأولوان في نسج زربية الأوراس ليس وليد صدفة، فرغم القيمة التراثية للزربية التقليدية الأوراسية والذي لايخلو بيت أوراسي قديما من هذه الصناعة، إلا أن صناعة الزربية الشاوية تبقى مهددة بالزوال في والوقت الحالي، مما سيحير قطاع السياحة بالمنطقة بسبب تراجع اهتمام شباب اليوم عن تعلم فن الصناعات التقليدية.

اللباس التقليدي:

لا يزال التعلق باللباس التقليدي في جل مناطق ولاية باتنة حاضرا، حيث يتوحد سكان منطقة الأوراس في اللباس خصوصا بالنسبة لزي الرجال والنساء المتقدمين

في السن و ذلك بخلاف الشباب الذين يتبعون في غالب الأحيان ما تجود به الأسواق من اللباس العصري، إذ نجد الرجل الأوراسي يرتدي لباسا مميزا يتكون من السروال الحوكي ، القندورة والبرنوس و القشابية، أما المرأة فترتدي الملحفة والغناسة.

لكن الزائر لولاية باتنة في وقتنا الحالي يلاحظ عزوفا كبيرا من قبل الأوراسيين في البستهم التقليدية، التي باتت في خانة الذكريات القديمة موازاة مع موجة التحضر التي مست الغالبية إضافة إلى النزوح الريفي الذي جعل الاهتمام بمثل هذه النشاطات التقليدية مقترنا بعدد قليل من الأسر التي تسعى إلى الاحتفاظ بهذا الموروث من الضياع والاندثار، وحسب الكثير ممن استجوبناهم من شباب وكبار السن، تبين بأن عامل الموضة كان له أثر كبير في تراجع المواطنين عن الإقبال سواء في ممارسة هذا النشاط أو اقتناء السلع المنتجة في هذا الإطار خصوصا بعد غزو الأسواق بمختلف السلع والمفروشات المحلية والمستوردة من الخارج بأقل الأثمان ما جعل الكثير يفضل اقتناءها مباشرة بدل أن يكلف عناء الجهد والأتعاب في سبيل تحقيق الغرض المنشود مؤكدين بأن تحسن المدخول اليومي له أثر آخر في هذا العزوف مقارنة بالسابق أين كان مصدر معيشتهم مستمدا من النشاط الفلاحي وتربية الأغنام والمواشي إضافة إلى ممارسة العديد من المهن الحرة والحرف التقليدية، وأكد البعض بأن غياب الحركة السياحية في منطقة الدراسة، جعل المجتمع الباتني لا يهتم بالماضي ولا يعرف قيمة التراث الثقافي سواء المادي أو غير المادي.

صناعة الحلي الفضية والذهبية:

تشتهر ولاية باتنة بصناعة الحلي الفضية والذهبية، التي تستمد أصالتها من أصالة الأوراس، وهي تنتشر بصفة كبيرة لدى حرفي المنطقة خاصة لكونها من لوازم زينة المرأة الشاوية في كل المناسبات وفي حياتها اليومية، تحمل هذه الحلي أحلى نقوش وتزينات ذات إيحاءات متنوعة ومن بينها: الجبين، الخلخال، الخلالة، المقياس، البلطة، القلادة والخواتم...

وتضم بلدية وادي الطاقة التي تقع شرق مدينة باتنة وحدها أكثر من 500 ورشة للصياغة، تشغل كلها شباب المنطقة الذين منهم من يفضل، بعد سنوات من اكتساب المهنة، التوجه لمختلف ولايات الوطن، لفتح ورشات مصغرة لهم، في ولايات وهران ومعسكر وتيارت، ما ولد بمرور عشرات السنين شبكة عنكبوتية لتجار صغار وكبار ينحدرون كلهم من هذه الولاية، ومن قبائل جبلية كانت كلها تعيش في بلديات آريس وبوزينة ووادي الطاقة، والنوادر.

تنوع البيئات المحلية:

تنوع البيئات المحلية في ولاية باتنة، ونعني بها البيئات البشرية التي تعكسها أنماط الحياة الاجتماعية التي تتمثل في البيئة الحضرية، والبيئة الريفية، وتجمع الأولى خليطا من السكان خاصة في المدن الكبيرة مثل باتنة ، تازولت وعين التوتة والتي تجمع جل عشائر الشاوية ولكل مجموعة تقاليدها وعاداتها الخاصة، نذكر هنا بأن مجموع العشائر الشاوية والتي تتوزع على تراب الولاية يتجاوز عددها 15 عرشا كبيرة وهي عرش أولاد سلطان، أولاد علي بن صابور، أولاد سيدي يحي، أولاد شليح، أولاد سي سليمان، أولاد عبدي، أولاد داود، أولاد سلام، أولاد ملول، أولاد سيدي علي، أولاد بوسليمان والغواسير، السراحنة والشرفة، هذا بالإضافة إلى عرش أولاد دراج الذي يقطن تراب البلديات المحاذية لمنطقة الحضنة وهو عرش عربي كبير.

على هذا تعتبر منطقة الدراسة مجمع العديد من العروش وهو ما ساعد على تشكيل مخزون تراثي وحضاري فسيفسائي فيه الكثير من التنوع والثراء وقد

تناقلت الأجيال المتعاقبة العديد من عادات وتقاليد هذه المجموعات البشرية على غرار الحرف التقليدية وعادات الملبس والأكل والبناء وسلوكيات ثقافية أخرى لا تزال إلى اليوم حاضرة بخصوصياتها ورونقها، وبالتالي نقول بأن السياحة الاجتماعية سيكون لها مدلول واسع على مستوى تراب الولاية، وهذا في ضل مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية ويقوم بأعمال متعددة ، ويسلك سلوكا مميزا في الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة.

كما يتسم المجتمع الريفي في ولاية باتنة ببساطة الحياة لديه متعايشا مع الجمال الطبيعي الذي أكسبه وداعة ريفية في جل مناطقه السهلية والجبلية، وكلها عوامل تساعد على الجذب السياحي، خاصة بالنسبة لمحبي سياحة المخيمات والسياحة الريفية والاجتماعية.

اللغة:

إن الزائر لولاية باتنة، يجد عائلات بأكملها ذات أصول أمازيغية وهي فخورة بذلك و هناك العجب عندما يجد السائح الكثير من العائلات الشاوية التي تعربت كلية خصوصا تلك التي تقطن في مدينة باتنة و لكنها لا تنكر أصلها الأمازيغي بل يجد من يحاول أن يجدد العهد مع لغتهم الأصلية، خصوصا و أن ولاية باتنة غنية باللهجات المحلية، حتى أن القادم إليها يمكنه أن يتعرف على عدة لهجات وهذا حسب كل عرش يقطن في الولاية، هذا وأن للسياحة الاجتماعية التي تحبذ الاطلاع على لغة الشعوب، يمكن أن تجذب سياحا كثيرة ، يمكن لهم فهم بعض الكلمات التي تخدمه في أية لهجة يستمع إليها. فسكان ولاية باتنة نجدهم متشبعون بالثقافة العربية والفرنسية أيضا ، حيث يستخدمون العديد من الكلمات العربية وخلطها في الشاوية خصوصا ما يتعلق بالعبادات و الدين وبعض المعاملات اليومية مثل القول «صباح الخير ،واش راك» في سياق كلام بالشاوية و كذا في المعاملات التجارية نجد منها «الشاري يربح» و هو تعبير عربي يستعمله الشاوية للدلالة على رفض الثمن المقترح في البيع والشراء مثلا، و في المعاملات العائلية مثل «جيناكم بالحسب و النسب» و هو القول الذي تفتتح به الخِطبة بين العائلات الأوراسية التي تتزاوج فيما بينها عربا و أمازيغ، يستعمله الشاوية رغم أنه بلسان عربي و نجده مفهوم و معروف و متداول بينهم. وبذلك يمكن لولاية باتنة تطوير شكل جديد من السياحة وهي السياحة اللغوية والثقافية لجذب آلاف الأجانب من دول مختلفة، ليس بالضرورة للتمتع بالطبيعة الأوراسية، وإنما لتعلم اللغة الأمازيغية من خلال الفلكلور والمهرجانات الثقافية الأخرى إما في إطار مهام دراسة اجتماعية أو بدافع شغف شخصي بعوالم الثقافة الأوراسية و أهداف رسمية، سياسية ودبلوماسية، وبالتالي يمكن فتح مراكز عدة لتعليم الأمازيغية بلهجاتها المحلية في وجه السياح الجدد الذين يرون في اللغة مدخلا هاما لتعميق فهمهم لقضايا ومشاكل اجتماعية، خاصة وأن مديرية التربية للولاية أدرجت اللغة الأمازيغية في مدارسها الابتدائية، بيد ان الإقبال عليها محدود.

وبخصوص السفر وتعريف لغة قوم، فإنه يمكن تحسين الصداقة وإرسائها وهذا في إطار السياحة الثقافية والاجتماعية يجسدهما توافد الأجانب أو سياح من داخل البلاد سواء كانوا لا يعرفون الأمازيغية أو يتكلمون لهجة أخرى مثل القبائلية و المزايبة والترقية، وهذا لتبادل الثقافات والتعرف على عادات الشاوية وأعرافهم الأصلية، لأنه ليس بالضرورة زيارة ولاية باتنة للتمتع بطبيعتها ومناخها، وإنما لتعلم لغة قومها .ولهذا يمكن أن تفتح مراكز ومدارس لتعليم الأمازيغية وحتى اللهجات المحلية التي تختلف في بعض الكلمات من منطقة إلى أخرى .

إن التفاعل والتناغم اللغوي بين العربية والأمازيغية يتضح بجلاء في منطقة الأوراس، فبعض

الأمازيغ تعربوا، وبعض العرب «تمزغوا»، إذ لا تكاد تفرق بين هذه الطائفة و الطائفة الأخرى إذا اعتمدت على اللسان خصوصا مع غياب الألقاب الأمازيغية، حيث وجد الباحث عائلات بأكملها ذات أصول عربية وهي من أولاد زيان و لكنها تتحدث الشاوية و هي فخورة بذلك و هنا العجب في حين أنه يبدو عاديا عندما وجدنا الكثير من العائلات الشاوية التي تعربت كلية خصوصا تلك التي تقطن في المدن و لكنها لا تنكر أصلها الأمازيغي كما في بلدية نقاوس على سبيل المثال لا الحصر. بل وجدنا من يحاول أن يجدد العهد مع تعدد اللغات خصوصا و أن الشارع الأوراسي غني باللهجات المحلية، حتى أن القادم إلى الأوراس يمكنه أن يتكلم باللغة العربية أو الأمازيغية أو حتى الفرنسية و لا يجد حرجا، و على الأقل يمكن للزائر أن يفهم بعض الكلمات التي تخدمه في أية لهجة يستمع إليها، فالأوراسي نجده متشبع بالثقافة العربية والفرنسية إضافة إلى الثقافة الإنجليزية.

وهنا نشير إلى نقطة مهمة جدا في هذا الجانب، وهي أن الإنسان الشاوي في ذهن كثير من الغرباء شخص متعصب، عنصري، وأنه لا يستقبل من لا يتكلم الشاوية، غير أن هذه الصورة لا تلبث أن تتبدد في سياق تفاعلهم مع شرائح المجتمع التي يكتشفون أنها لا تختلف عنهم في شيء، فهم أفراد مرحبون يعيشون زمانهم، لهم أحلامهم ومشاكلهم وتطلعهم إلى الأفضل، وهذا ما يجعل من التلاقح اللغوي جسرا استراتيجيا بين الحضارات.

الطب التقليدي:

يصور الطب التقليدي كعنصر هام من عناصر التراث الشعبي جانبا أساسيا تتحدد في ضوئه العادات والتقاليد والمعتقدات والممارسات وأساليب التفكير والخبرات المتوارثة عن الحياة والبيئة، فيكشف للسياح عن عمق الثقافة والتجربة المجتمعية بالنسبة للمستطلعين و العلاج بالنسبة للمرضى .

وسكان منطقة الدراسة جميعهم سواء تعلق الأمر بالبدو أو الحضر، الشاوية أو العرب مازالوا يعالجون بعض الأمراض و الإصابات باللجوء إلى الراقي، الطالب، الخوني، العزام ... لذلك نجد الحضرة و الزردة كاحتفال يستهدف العلاج عن طريق طرد الأرواح أو استرضائها و ذلك بإجراءات طقوسية خاصة تشتمل على تقديم القرابين وأداء بعض الرقصات سريعة الإيقاع على أنغام الزرنة و البندير تمارس في العديد من مناطق الأوراس، كما أن المعارف و المعتقدات التي يؤمن بها سكان منطقة الأوراس كالاعتقاد في أفعال و أشياء تجلب الحظ و أخرى ممنوعة أو مكروهة، و الاعتقاد بالعين و الإيمان بالأعمال السحرية، و الاعتقاد بالأحجبة لقضاء الحوائج و الشفاء و منع الأذى، و التبخير و زيارة القبور و بناء الأضرحة للأولياء، و الإيمان بالنذر، وكذا بوجود كائنات كالجن والعفاريت و الملائكة و أرواح الموتى، كلها تعتبر قاسم مشترك بين السكان، وليس هذا في الأوراس فقط ولكن في الجزائر ككل.

و عليه يمكننا القول بأن السياحة الاجتماعية سيكون لها شأن كبير بفضل تنوع ثقافة المجتمع الأوراسي و سكانه الناطقين بالشاوية أو العربية ، حيث اتضح أنها فعلا ثقافة متعددة المكونات و مشتركة بين سكان منطقة الأوراس إذ لا يمكن أن تفرق بين ثقافة العربي و الأمازيغي فالكل يمارس نفس الطقوس و يعتقد نفس المعتقدات و يقوم بنفس النشاط و يتكلم نفس اللغة.

خلاصة وتوصيات

تمتلك ولاية باتنة تراثا بشريا و ثقافيا متنوعا يمكن من خلاله تحقيق الاستدامة السياحية وذلك بتوفير احتياجات السائح من الخدمات، وتحقيق الاستدامة الاقتصادية للسكان بتوفير فرص عمل وتحقيق عائد

وأرباح من المشروع السياحي تعود فوائده على المجتمع المحلي، ويتم تحقيق استدامة سياحية مع أخذ بعين الاعتبار الدراسة السكانية كأساس في التخطيط السياحي محليا لتلبية حاجياتهم من هذا النشاط المهم لجميع فئات المجتمع لتحقيق الاستدامة الاجتماعية و الثقافية عن طريق إشراك المواطنين في عملية التنمية السياحية وحماية الثقافة المحلية، حيث لا توجد تنمية وحفاظ بمعزل عن السكان المحليين ، بشرط أن يكون الحفاظ أمين على تقاليد المجتمع و أن يقيم المنتجات بطريقة معقولة لتطوير السياحة الثقافية ، وهناك العادات والتقاليد الشعبية، القيم والقصص القديمة، والفنون الشعبية، إضافة إلى منتجات متنوعة للصناعة التقليدية، مثل صناعة الزرابي التي تشتهر بها كل البلديات، وصناعة الذهب التي تعرف بها الناحية الشرقية للولاية، خاصة بلديات وادي الطاقة، بوزينة وبلدية شير.

إن هذا الرصيد من الإمكانيات التاريخية والحضارية لولاية باتنة ذو أهمية بالغة، مما يجب المحافظة عليه واستغلاله وتثمينه، للنهوض وتطوير الأنماط السياحية المرتبطة بهذا المنتج السياحي، وجعله قادرا على المنافسة في سو ق السياحة الداخلية ورفع حصتها من السياحة الدولية.

المراجع:

1. إلياس شاهد و عبد النعيم دفرور، 2017، السياحة كمقوم للتنويع الاقتصادي في الجزائر في ظل تذبذبات أسعار النفط، مقال منشور في المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية – عدد 06 جوان /2017 ، ص 114

2. تقرير الوكالة الوطنية للتنمية والاستثمار سنة 2013، ص 13

3. شريفة بنت هيازع عبد الله البارقي، 2011، السلوكيات الترويحية للسياح القادمين من منطقة عسير إلى محافظة جدة، ماجستير في الجغرافيا، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ص 134

4. فتحي محمد أبو عيانة، 1993، جغرافية السكان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ص 32

5. م.مجيب. – معدل الدخل السنوي للمواطن الجزائري ،نشر في صحيفة الجزائر نيوزيوم 12 – 09 – 2010

6. ماهر عبد الخالق السيسي،2006، مبادئ السياحة، مجموعة النيل العربية مصر، ص 31

7. محمد خميس الزوكة، 1991، التخطيط الإقليمي وأبعاده الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ص 220

8. محيا زيتون، 2002، السياحة ومستقبل مصر، بين إمكانات التنمية ومخاطر الهدر، مكتبة مصر، ص 11

9. مسعودان بشير، 2009، ولاية باتنة، دراسة في جغرافية السكان، أطروحة الدكتوراه، جامعة باتنة، ص 152

10. زينب توفيق السيد عليوة،2014 ، تقييم أثر النشاط السياحي في النمو الاقتصادي في مصر، مقال منشور في مجلة بحوث اقتصادية عربية، العدد.